مجلة عصور الجديدة- مجلة محكمة صنف ج- المجلد 10 العدد 1- مارس 1441هـ/2020
ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

# أضواء على المكانة الحضاريّة لتلمسان خلال العهد الزّياني
# Highlights of the civilization status of Tlemcen during the Zayani era

المؤلّف المرسل: فاتح مزردي- Mezerdi fateh
صص208- 226
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه ل.م.د تاريخ وسيط- كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة- جامعة البليدة2 لونيسي علي/البريد الإلكتروني: ef.mezerdi@univ-blida2.dz
المؤلّف الثّاني: د. عبد القادر بوعقادة Bouagada abdelkader
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة- جامعة البليدة2 لونيسي علي/البريد الإلكتروني: bouagada_aek@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال:2019/12/02 تاريخ المراجعة: 2020/01/20 تاريخ القبول: 2020/02/17

**ملخّص:** تلمسان العلم... تلمسان العمران... تلمسان التّاريخ والحضارة، تلمسان التي حباها الله بموقع جغرافي هام، وبمناخ معتدل، وبخيرات كثيرة ومتنوعة تمكّنت من أن تكون واحدة من أهمّ حواضر المغرب الإسلامي، وأنْ تتفاخر بها وبعلمائها كتب التّاريخ والحضارات؛ كيف لا وهي قاعدة المغرب الأوسط، والمدينة العتيقة ذات التّاريخ المتواصل التي اكتسبت مكانة مرموقة في الثّقافة والأدب وانتشار المهن والحرف، وازدهار التّجارة، وتطوّر العمران؛ فكانت جسر تواصل حضاري كبير بين المغرب والمشرق الإسلاميين والأندلس.

والأمّة في حاضرها هي حصيلة تطوّرها عبر العصور، فيتراكم في شخصيّتها نسيج الماضي المتكوّن من المؤثّرات الثّقافيّة التي توالت عليها، فشكّلت هويّتها؛ لذا تعتبر تلمسان تراثا تاريخيًا غنيًا بإبداع الإنسان الذي سكنها على مرّ التّاريخ، وبخاصّة خلال عهد بني زيّان الذين تركوا بصماتهم الحضاريّة في مختلف الميادين كتطوّر فنّ العمارة، وازدهار الاقتصاد، وكوْنها مركز إشعاع ثقافي وعلمي، فقد كانت في تلك الفترة قِبلة للعلماء والطّلاّب الذين كان للكثير منهم دور كبير في نقل معالم الحضارة الإسلاميّة إلى بلاد السّودان عندما كانت القوافل التّجاريّة تنطلق من تلمسان إلى ما

وراء الصّحراء، ونظراً لأبعادها الثّقافيّة والحضاريّة والعلميّة؛ فما هي مظاهر المكانة الحضاريّة لتلمسان خلال العصر الزّيّاني؟

**الكلمات المفتاحيّة:** المغرب الأوسط- مسجد أكادير- قصر المشوار- مدرسة ولدَيْ الإمام- المدرسة التّاشفينيّة- التّنسي- يغمراسن بن زيّان- الأُسَر العلميّة- الإجازة العلميّة.

**ABSTRACT:** *Tlemcen science... Tlemcen urbanism... Tlemcen history and civilization, Tlemcen, which was blessed by God in an important geographical location and a moderate climate and many good and varied managed to be one of the most important cities of the Islamic Maghreb, And boast of its scientists and history books and civilizations ; How not? It is the base of the Maghreb and the ancient city with a continuous history that has acquired a prominent position in culture and literature, the spread of professions and crafts, the prosperity of trade and the development of urbanism; it was a bridge of great civilization between Maghreb and the Islamic Levant and Andalusia.*

*The nation in its present is the outcome of its development through the ages and accumulates in the personality of the fabric of the past consisting of cultural influences that have rolled them and formed its identity, so Tlemcen is considered a rich historical heritage of the creativity of man who inhabited it throughout history, especially the Bani Zian who left their civilizational mark in various fields; Architecture and flowering economy and being the center of cultural and scientific radiation, At that time, it was a kiss for scholars and students, many of whom were instrumental in conveying the features of Islamic civilization to Sudan, when commercial convoys departed from Tlemcen beyond the Sahara, and because of their cultural, cultural and scientific dimensions, What are the manifestations of the civilized status of Tlemcen during the the Zayani era ?*

**Keywords:** Middle Maghreb, Agadir Mosque, Ksar Mechouar, Ouled Imam School, Tachfineh School, Tanassi, Yaghmarsen Ben Zian, Scientific Trip, Scientific Families, Scientific Leave.

**مقدمة:** شهدت تلمسان في العصر الإسلامي حياة اقتصاديّة واجتماعيّة وفكريّة رائدة، وحركة تنوير واسعة للعلوم والمعارف الإسلاميّة المختلفة امتدّ تأثيرها وإشعاعها الفكري إلى المدن والعواصم الإسلاميّة سواء في المغرب أو في المشرق الإسلامي، واكتسب المجتمع التّلمساني ثقافة واسعة، ورُقيًا حضاريًا أخرجته من طور البداوة إلى طور الحضارة؛ فأعطى بمختلف عناصره أهميّة كبيرة للحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة.

ونظرا لأهميّة الموضوع ارتأينا أن ندرس تاريخ مدينة تلمسان من الجانب الحضاري، ونغوص في خصوصيات المجتمع الزّيّاني، ونعالج بعض جوانبه الحضاريّة، بخاصّة في المجال الاقتصادي والثّقافي، والتّعرّف على النّسيج العمراني للمدينة، ودوره في إعطاء تلمسان مكانة تاريخيّة كبيرة بين المدن الإسلاميّة؛ لذا فقد أدرجنا موضوعنا تحت عنوان "أضواء على المكانة الحضاريّة لتلمسان في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط". فطرحنا الإشكاليّة التّاليّة: ما هي أهمّ المظاهر الحضاريّة لمدينة تلمسان، ودورها ومكانتها بين الحواضر الإسلاميّة؟ وللإجابة على الإشكاليّة حاولنا الإجابة على مجموعة من التّساؤلات الفرعيّة هي: ما هي مراحل التّطوّر التّاريخي للمدينة، من النّشأة إلى مطلع القرن السّابع الهجري/الثّالث عشر الميلادي؟ وما هي أهمّ المظاهر العمرانيّة لتلمسان؟ وما هي أهمّ مظاهر الحياة الاقتصاديّة والثّقافيّة لتلمسان على العهد الزّيّاني؟

واتّبعنا في دراستنا لهذا الموضوع المنهج التّاريخي من حيث الاعتماد على المصادر والمراجع لتتبّع المراحل التّاريخيّة للمدينة، وذلك بمساعدة المنهج الوصفي؛ لإعطاء صورة واضحة لمدينة تلمسان، في وصف مظاهرها العمرانيّة، من خلال قصورها ومساجدها ومدارسها وأسواقها، ومظاهر حياتها الاقتصاديّة والثّقافيّة.

**1- تلمسان من النّشأة إلى العهد الزّيّاني:** تعدّ تلمسان قاعدة المغرب الاوسط؛ إذ تقع في ملتقى الطّرق الرّئيسة الرّابطة بين الشّرق والغرب، والشّمال والجنوب؛ فالدّاخل إلى المغرب الأقصى قادمًا من تونس أو بجاية، والخارج منه آتيًا من مراكش أو فاس لا بدّ له من المرور عبرها أو الإقامة بها[1]، والقادم من جزيرة الأندلس أو من الجمهوريات الإيطاليّة أو إمارات جنوب فرنسا من التجّار يجب أن يبقى بتلمسان والموانئ القريبة منها مثل هنين والمرسى الكبير وأرشقول ووهران لمدّة تصل إلى عشرة أيّام [2]، وهي ترتفع عن سطح البحر بـ830 مترا، وتبعد عنه بنحو ستين ميلا، وتحيط بها الجبال والهضاب الصّخريّة من الجهة الجنوبيّة، ويحدّها من الشّمال الغربي مرتفع ترارة وجبل فلاوسن، ومن الشّمال الشّرقي مرتفعات سبع شيوخ وتسالة[3].

وإذا تتبّعنا تاريخ تلمسان من الفتح الإسلامي إلى تأسيس الدّولة الزّيّانيّة، فإنّ أوّل من وطأت قدماه أرض تلمسان كان أبو المهاجر دينار، بعد أن زحف عليها مع جنوده سنة 55هـ/675م، ملاحقا لأثَر كُسيلة الملك البربري الذّي فرّ إليها مع جنوده بعدما ارتدّ عن إسلامه، ووقعت بينهما معركة حامية الوطيس بالمنطقة التي عُرفت بـ"عيون أبي المهاجر"[4]، فكان الانتصار للمسلمين، وبنى فيها موسى بن نصير أوّل جامع عام 89هـ/708م يُقال: إنّه كان يضاهي جامع القيروان الذّي بناه عقبة بن نافع.

وبقيّت تلمسان تحت حكم الولاّة الذّين يحكمون باسم الأمويين حتّى سنة 132هـ/750م، ثمّ باسم العباسيّين حتّى استولى عليها أبو قرّة اليفرني خلال القرن الثّاني الهجري، وأسّس بها إمارته الخارجيّة الصُّفريّة في 148هـ/765م التي لم تطُل مدّتها جاعلا منها قاعدة لإمارته[5]، وبعد اختفاء أخبار أبي قرّة تغلّب على المدينة آل خَزر المغراويين سنة 170هـ/786م، والذّين بايعوا إدريس بن عبد الله عندما استولى على تلمسان في 174هـ/ 790م، ومكث فيها بضعة أشهر جدّد فيها بناء المسجد القديم، ووضع له منبرًا، ثمّ عاد إلى عاصمته فاس، وبقيّت تلمسان تحت نفوذ الأدارسة حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري، وعاد أهلها من بني خزر ومغراوة للولاء لبني أميّة في الأندلس[6]، واستمرّ الأمر على حاله حتّى كانت دولة الشّيعة، وانتقض وحمل أهل المغرب الأوسط على الفاطميّين ما دفع عُبيد الله المهدي إلى تكليف ابنه أبو القاسم سنة 310هـ/922م بغزو محمّد بن خزر الذي ترك تلمسان، وأجفل إلى الصّحراء[7].

كما عرفت تلمسان مرحلة اضطرابات، وحروب طويلة مع الصّنهاجيّين ورثة الفاطميّين في بلاد المغرب إلى أن قُتل حاكمها أمير أقادير محمّد بن الخير بن محمّد بن خزر؛ فدخلت تلمسان تحت النّفوذ الصّنهاجي في 360هـ/971م[8]، وبقيّت كذلك حتّى دخل الهلاليون إفريقيّة سنة 442هـ/1031م، واستولوا على سائر أعمالها، ثمّ تسرّبوا إلى ديّار بني حمّاد، وأخرجوهم من القلعة، ثمّ توجّهوا لتلمسان، وسيطروا عليها في 450هـ/ 1058م[9].

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

وفي عهد الدّولة المرابطيّة (448-541هـ/1056-1147م) قام يوسف بن تاشفين (456-500هـ/1065-1106م) بغزو المغرب الأوسط، واستولى على تلمسان في 472هـ/ 1079م، وقضى على من فيها من بني خزر، واختطّ بجانبها مدينة تاقرارت، وتوجّه نحو وهران وتنس، ومحا آثار مغراوة من جميع المغرب الأوسط، ثمّ عاد لتلمسان، ونصّب فيها عامله محمّد بن تينعمر المسوفي، ثمّ رجع إلى مراكش التي دخلها في 475هـ/1082م، فأصبح المغرب الأوسط بيد المرابطين[10]، وكان أهمّ ما أنجزه المرابطون في تلمسان المسجد الجامع الذي قام بتشييده الأمير علي بن يوسف(476-537هـ/1083-1143م) في شرق القصر القديم سنة 530هـ/1135م[11].

وبقيّت تلمسان تحت سلطة المرابطين حتّى قامت دولة الموحدين، وقام عبد المؤمن بن علي بغزو مدينة تلمسان عام 539هـ/1145م، بعد أن سيطر على وهران، وقضى على الأمير المرابطي تاشفين بن علي(537-539هـ/1143-1145م)[12]، وكان قد أحدث فيها تخريبا كبيرا في عمرانها، ثمّ تراجع عن ذلك، وأمر بإصلاحها، وعيّن عليها سليمان بن وانودين، وظلّ الموحدون يتولّوْن أمر تلمسان، فحصّنوها تحصينا قويا، ووسّعوا عمرانها، فكان أشدّ ما قاموا به ما أنجزه أبو عمران بن يوسف بن عبد المؤمن" عندما أحاط تلمسان بسُور ضخم سنة 556هـ/1160م[13]، وبعد الهزيمة الكبيرة في معركة "حصن العقاب" سنة 609هـ/1212م[14] تفكّكت أوصال الدّولة الموحديّة، ثمّ تراجعها وزوال نفوذها، وبروز ثلاث دوَل سعت كلّ واحدة منها لبسط نفوذها السّياسي، وخلافة السّلطة السّياسيّة في بلاد المغرب[1]، وبينما كان الزّيّانيون يحكمون باسم الموحدين تلمسان شقّوا عصا الطّاعة، ونبذوا دعوتهم معلنين استقلالهم بالمغرب الأوسط في 633هـ/1236م متّخذين من مدينة تلمسان عاصمة لهم، وتوارث بنو عبد الواد عرشها لأزيد من ثلاثة قرون[16].

**2- المظاهر العمرانيّة في مدينة تلمسان:**

**2-1- مخطّط المدينة: الأبواب والأبراج والأحياء:** إنّ المظهر المورفولوجي للمخطّط العمراني لتلمسان يبيّن أنّ المدينة تأخذ شكل المربّع، تحيط بها الأسوار من جميع نواحيها، وهي التي تفصلها عن البادية، والحقول الزّراعيّة، وتحميها من الغزاة[17]،

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

ولتلمسان خمسة أبواب رئيسة، وأخرى ثانويّة سمّيت حسب موقعها أو اتّجاهها[18]، وأهمّ هذه الأبواب هي: باب الجنوب، وباب الحديد في الجهة الجنوبيّة، وباب كشوط (باب فاس) من الجهة الغربيّة نحو الصّهريج، وصبرة، والمغرب، وباب وهران من الجهة الشّماليّة الغربيّة نحو هنين وأرشقول وندرومة، ومفترق الطّرق المؤديّة إلى وهران، وإلى شماله نجد باب القرمادين الذّي يعتبر الحصن الدّفاعي الأوّل من الشّمال، وباب سيدي البرادعي (باب الشّمال) من الجهة الشّماليّة، وباب زيري من الجهة الشّرقيّة نحو أقادير، وباب الجيّاد في الجهة الجنوبيّة الشّرقيّة نحو المقبرة [19].

واهتمّ الزّيّانيون بتحصين مدينتهم كثيرا، فيذكر الباحث مارسيه أنّ في تلمسان سبعة أسوار، وتمّ تحصينها بعدّة أبراج قويّة وعاليّة أهمّها "برج القشاقش" الذي بني على ضفة وادي متشكانة، وأُنشئت له طريق مغطّاة بالأقواس تربط البرج بالمدينة، ويوجد في الجهة الجنوبيّة في الموضع الجبلي المؤدّي إلى هضبة لاستي "برج الطاحونة"، ويهدف لحماية المدخل الجنوبي للمدينة، وكذلك حماية الطاحونة التي تزوّد أهل المدينة بالدّقيق، وأمامه نجد "قلعة ابن الجاهل" في المنطقة المكشوفة؛ للدّفاع عن النّاحيّة الجنوبيّة للمدينة، كما نجد "برج الإمامة" الذّي يقع في الجهة الشّماليّة الغربيّة، ويعتبر الخطّ الدّفاعي الأمامي لتلمسان [20].

وتشتمل مدينة تلمسان على عدّة أحياء أو حوْمات أهمّها "حومة المطمر" التي تقع بمحاذاة باب فاس في غرب المدينة، وتضمّ مخازنًا ومطاميرَ عديدة مُعَدّة لخزن المُؤن واللّحوم والقمح والزّيوت وغيرها، حيث عمل الأمراء الزّيّانيون على ملئها تحسّبا لأيّ طارئ، وهو ما جعل تلمسان تصمد في وجه الحصار ما يقارب تسع سنوات[21]، بالإضافة إلى "حومة باب علي" في الشّمال الشّرقي للمدينة، وبجوارها نحو باب زيري نجد "حومة باب زيري"، وإلى غربها نجد "حومة عبد الجبار"، وإلى شرق المِشْور نجد "حي باب الجيّاد"، أمّا إلى غربه فنجد "حي باب إيلان"، وإلى الشّمال منه نجد "حي اليهود" الذّي يتوسّط المدينة أين توجد أسواق الصّاغة[22]، وقام السّلطان أبو تاشفين ببناء صهريج كبير غرب مدينة تلمسان شمال "باب فاس" يبلغ طوله 200مترا، وعرضه 100مترا، وعمقه 3 أمتار ، وجلبت له المياه من المرتفعات، ومن منابع لالا سَتِّي التي

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

تطلّ على المدينة من جهة الجنوب، ولا يزال هذا الصّهريج الأعظم قائما إلى حدّ اليوم، ويطلق عليه أهل تلمسان "صهريج مبدي"، كما تضمّن المشور أيضا صهريجا لكنّه أقلّ حجما؛ لتزويد القصر والحاشيّة [23].

**2-2- العمارة الدّينيّة في تلمسان:** تزخر مدينة تلمسان بعدّة مساجد، البعض منها لا يزال قائما إلى يومنا هذا، والتي كانت تُعْنَى بحفظ القرآن والحديث، وتدريس الفقه والنّحو والأدب، كما توجد المساجد الجامعة التي تشبه المعاهد، وتُدرس فيها العلوم الإسلاميّة، ومن أهمّها:

مسجد أغادير تمّ بناؤه على يد إدريس الأوّل عام 173هـ/789م، وزوّده بمنبر كُتب عليه "بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضيّ الله عنه[24]، وقام يحيى بن يغمراسن، حيث أقام به مئذنة [25]، ويعتبر المسجد الكبير أو الأعظم تحفة معمارية رائعة الجمال تتوسّط مدينة تلمسان بناه علي بن يوسف بن تاشفين سنة 530هـ/1136م، ثمّ أتمّه الموحدون، أمّا القبّة التي يبلغ ارتفاعها خمسة وثلاثين مترا فبناها السّلطان يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1236م[26] يحتوي الجامع على ثمانية أبواب، وقاعة كبيرة للصّلاة تشمل 72 سارية عظيمة من حجر الصّلد، وأروقة داخليّة، وقبّتين: واحدة في الوسط، وأخرى أمام المحراب مشتبكة الأقواس تحمل صفحاتًا لامعة، وعلى يمين فتحة المحراب ويسارها وتحت الزّخرفة توجد صفحتان مستطيلتان كلّ واحدة محاطة بحاشية منقوشة بخطوط كوفيّة، حيث نقرأ في إحداها: "نصر من الله، وفتْح قريب، وبشِّر المؤمنين"، بهاتين الصّفحتين والزّوايا الأربع المتواجدة حول قوس المحراب زخرفة مكثّفة على شكل أزهار، ويشبه المحراب بزخرفته الفائقة الإتقان محراب جامع قرطبة الأعظم[27].

وجامع سيدي الحلوي الذي شيّده السّلطان المريني أبو عنان فارس(ت. 759هـ) عام 754هـ/1353م بشمال شرق المدينة، وتسمّيته سيدي الحلوي نسبة إلى الرّجل الصّالح أبو عبد الله الشّوذي قاضي إشبيليّة الذّي قدم لتلمسان فكان يصنع الحلوى، ويوزّعها على الأطفال[28]؛ الجامع الذّي لا يزال محافظا على زخرفته بالرّغم

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

ممّا أصابه من تأثيرات عبر الزّمن، يحتوي على ثلاثة أبواب، وتوجد به حاشية منقوشة بخطوط أندلسيّة كُتب عليها "الحمد لله وحده، أمرَ بتشيّيد هذا الجامع المبارك مولانا السّلطان أبو عنان فارس ابن مولانا السّلطان أبي الحسن علي ابن مولانا السّلطان أبي سعد عثمان بن مولانا السّلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ أيّده ونصره عام754هـ"، يشبه جامع سيدي الحلوي جامع العبّاد، ويحتوي على صحن مربّع الشّكل يتوسّطه حوض الوضوء المحاط بالأروقة، وأرضه مفروشة بالفسيفساء، وصومعته الفخمة شبيهة بصومعة مسجد سيدي أبي مدين، أمّا قاعة الصّلاة فتحتوي على خمسة أروقة وأربعة بلاطات، وصفّين من الأعمدة المرمريّة عليها تيجان رائعة الجمال[29].

ومسجد أبي الحسن بن يخلف التَّنسي الذي شُيِّد في عهد السّلطان الزّيّاني أبو سعيد عثمان عام 696هـ/1297م، وتمّ بناؤه على نمط الفنّ المعماري الغرناطي، وسمّي بهذا الاسم نسبة للعالم الفقيه أبي الحسن التّنسي الذي كان يُلقي دروسا فيه، وكان صغيرا جدًا مقارنة بالمسجد الجامع، فلا يزيد طوله عن 20 متر، وعرضه عن 9.70 متر[30]، يتميّز هذا المسجد بمحرابه وسواريه وسقفه ومئذنته، حيث يعتبر محرابه أجمل محراب في العالم الإسلامي بأكمله؛ لاشتماله على مشكاة سداسيّة الأضلاع مكلّلة بقُبَّة مزيّنة بالمقرنصات، بالإضافة إلى مساجد أخرى كثيرة أهمّها جامع سيدي إبراهيم المصمودي، وجامع سيدي أبي مدين، ومسجد أولاد الإمام، ومسجد سيدي البناء، وسيدي السّنونسي، ولالا الغربيّة، وسيدي الحسن بن المخلوف، وسيدي القلعي، وسيدي الوزّان[31].

**2-3- العمارة المدنيّة في تلمسان:** أمّا العمارة المدنيّة في تلمسان، فنجد القصور؛ إذ أبدع الزّيّانيون في تشيّيدها، ومن أهمّها المِشْور الذّي يقع في الجهة الجنوبيّة للمدينة، وهو عبارة عن قلعة أو قصبة بناها يغمراسن في بداية عهده، وسمّاه المشور تميّيزا عن القصر القديم، وتعني مكان الاجتماع؛ للتّشاور، ومناقشة شؤون الدّولة؛ لذا فقد اتّخذه مقرًّا رسميًا لإقامته، وأنزل به الحاشية ورجال الدّولة، ويستقبل فيه الأمراء والسّفراء الأجانب، وقد قام بتخطيطه على شكل مستطيل نحو الشّمال على طول

490 متر، وعرض 280 متر[32]، وإلى جانب قصر المشور اهتمّ السّلاطين الزّيّانيّين، وبخاصّة يغمراسن بالبناء والتّشيّيد، وواصل ابنه عثمان، ثمّ حفيده أبو حمّو موسى الأوّل على نفس المنوال، فكان مولعا بالعمران، ويعتبره رمزا للقوّة والازدهار، وهي من مهام السّلاطين الأقوياء، فبنى دار المُلك والدّار البيضاء ودار السّرور، وشيّد قصر أبي فهر في موضع يُعرف بـ"بنفرغنبو"[33].

كما نجد بعض القصور التي لا تزال شاهدة إلى يومنا مثل قصر العزيز (قرب ساحة النّصر)، وقصر الضّياف (قرب رياض بن فارس)، وقصر شنقر في حي القصّارين، وقصر حانوت في أقادير، وقصر عبلة بنت السّلطان قرب متشكانة، وقصر غرس الباي في فدّان السّبع [34].

أمّا الفنادق فتحتوي مدينة تلمسان على عدّة فنادق تقع بالحيّ التّجاري يقطنها في الغالب التّجار المسيحيون والقناصل، وبخاصّة ممثّلي الشّركات التّجاريّة الأجنبيّة التي تقوم بعمليات التّصدير والاستيراد، والإشراف على التّجارة وتنظيمها، ولعلّها كانت تتمتّع بحصانة تشبه في هذا الأمر البعثات الدّبلوماسيّة، والسّفارات، والظّاهر أنّ مدينة تلمسان كانت تشتمل على مجموعة من الفنادق بالنّظر إلى أهميّتها التّجاريّة والاقتصاديّة، وموقعها الاستراتيجي في ملتقى الطّرق التّجاريّة بين أوروبا وإفريقيا من جهة، وبين المغرب والأندلس والمشرق من جهة أخرى [35]، وقد تركت لنا بعض المصادر أسماء فُنْدُقَين بمدينة تلمسان هما فندق الشّمّاعين وفندق المجاري، وجاء ذِكْر اثنين آخرين خصّيصا لإقامة التّجّار الوافدين من جنوة والبندقية في وصف إفريقيّة للحسن الوزّان، لكن دون أن يذكر أسماءها، وتُبنى الفنادق عادة بالقرب من الأحياء التّجاريّة، والأسواق أو داخلها، وفي بعض الأحيان تنشأ خارج الأحياء السّكنيّة أو بالقرب من أسوار المدينة، وفي الضّواحي والأرباض التّلمسانيّة[36].

وإلى جانب الفنادق تنتشر الحمّامات، حيث تتضمّن أحياء تلمسان العديد من الحمّامات الأنيقة، والاغتسال في الحمّام ظاهرة قديمة وصلت إلى سلوك المسلمين مبكّرًا؛ لأنّ الإسلام يحثّ على الطّهارة والاغتسال، ومن أهمّ الحمّامات التي اشتهرت بها تلمسان "حمّام العالية" الذّي يقع بالقرب من باب حديد، و"حمّام الصّبّاغين" في

الجهة الشّماليّة الشّرقيّة من المدينة، و"حمّام الطّبول" الذّي ذُكر اسمه في وثيقة أصدرها أبو حمّو موسى الثّاني تنصّ على حبْس الزّاوية المقامة على ضريح والده أبي يعقوب، والطّاحونة والحمّام والدّكاكين، ويوجد حمّام آخر لا يزال يقوم بوظيفته هو "حمّام سيدي بومدين بالعبّاد" قرب باب العقبة بشرق المدينة، ويوجد لكلّ حيّ حمّامه الخاص، وتوجد حمّامات أخرى في القصور[37].

**3. الحياة الاقتصاديّة في تلمسان خلال العهد الزّيّاني:**

**1 .3 - النّظام الفلاحي في تلمسان:** شجّعت الدّولة الزّيّانيّة النّشاط الفلاحي بشتّى الوسائل، ويظهر هذا الاهتمام من خلال شقّ القنوات المائيّة مثل ساقية النّصراني، وبناء الخزّانات مثل الصّهريج الكبير، وشرائها للمنتوج الفلاحي من الفلاحين، وتخزينه في المطامير؛ لاستغلاله في الأوقات العصيبة كالقحط والكوارث، وأيّام الحصار، والذّي يؤكّد هذا ما ذكره ابن خلدون عن السّلطان أبو زيان الذّي استدعى خازن زرْعه بن جحاف، وسأله عمّا بقيّ من الأهراء والمطامير المختومة؟[38].

اهتمّت الدّولة الزّيّانيّة بزراعة العديد من المنتجات وبخاصّة الحبوب، فكان إنتاج القمح والشّعير أكثرها انتشارا، وبالتّحديد في سهول تسالا حول تلمسان، وكان يكفي حاجيات سكان المدينة، يذكر يحيى بن خلدون في هذا الشّأن أنّ السّلطان أبو حمّو موسى الثّاني كان يرسل إلى ملك غرناطة مساعدات تحوي كمياتًا كبيرة من الحبوب[39].

تنتشر غراسة الأشجار المثمرة مثل الكروم في وجدة، والكَرز والمشمش والزّيتون واللّوز والجوْز في عدّة مناطق من الدّولة، وزراعة الخضر مثل الفول والخسّ واللّفت والخيار والبطيخ التي تنتشر داخل المدن، وتعتمد على نظام الرّي، ويذكر ابن خلدون بأنّها انتشرت خلال حصار تلمسان الطّويل، من 698-706هـ/1299-1307م[40]، وانتشرت زراعة القطن في ندرومة، والكتّان في برشك، وهو الإنتاج الذّي يتمّ استغلاله في الصّناعة النّسيجيّة، والفائض يصدّر عبر البحر نحو الجزائر وبجاية وتونس[41]، كما تنتشر زراعة الحناء والكمّون والبصل التّي اشتهرت بها منطقة بني وازلفن قرب تنس على ضفاف نهر الشّلف[42].

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

وتحتلّ تربية الحيوانات مكانة كبيرة، وجزءً هامًّا من الفلاحة الزّيّانيّة، حيث تنتشر تربية المواشي في الهضاب والتّلال جنوب تلمسان، وهي توفّر المواد الأوليّة للصّناعة الحِرفيّة، وبخاصّة الصّوف الذّي توفّر كميات كبيرة منه[43]، وتنتشر تربية الأبقار في المناطق الشّماليّة للأطلس الصّحراوي، والتّي كانت تُغذّي صناعة الجلود[44]، ويتمّ الاهتمام بتربية البغال في السّهول والهضاب، والتّي كانت تُستعمل في التّرحال والحمالة، وكانت تربية الخيول جدّ مزدهرة باعتبار أنّها كانت من بين السّلع المطلوبة كثيرا في التّجارة، خاصّة تجارة أوروبا، وكانت تُقدَّم كهدايا للملوك والسّلاطين المسلمين في المشرق والمغرب الإسلامي، وقد اعتمدت دولة بني عبد الواد على عبد الله بن كندوز في إدارة مراعيها، وإنتجاع إبِلِها، فبفضله كانت المراعي الزّيّانيّة تستغلّ أحسن استغلال، كما يهتمّ سكان ندرومة وتنس بتربية النّحل[45].

**2.3- النّشاط الصّناعي في تلمسان:** مثّلت بعض الحِرف والصّنائع في المجتمع الزّيّاني القاعدة الإنتاجيّة للمدينة، بما كان يقدّمه الحِرفيون من دوْر بارز في تنشيط الحياة الاقتصاديّة، وذلك باستغلال وتحويل المواد الأوّليّة: فلاحيّة كانت أو معدنيّة إلى بضائع استهلاكيّة قابلة للتّسويق، ومن أهمّ هذه الصّنائع:

الصّناعات النّسيجيّة التّي تعتمد على موارد مختلفة كالصّوف والقطن والكتّان والحرير، والجلود المدبوغة على اعتبارها مادّة أوّليّة متوفّرة بشكل كبير في أراضي الدّولة الزّيّانيّة، وتشمل بوجه خاص حياكة الملابس والزّرابي والحنابل وصناعة الخِيَم والأحذية والسّروج والعمائم والأحزمة وغيرها، وقد أثنى يحي بن خلدون على هذه الصّناعة بتلمسان بقوله: "غالب تكسيبهم الفلاحة، وحوك الصّوف يتغالون في عمل أثوابه الرّقاق، فتلقى الكساء والبرنوس عندهم من ثماني أواقي، والأحرام من خمس، وبذلك عُرفوا في القديم والحادث، ومن لدّنهم يُجلب إلى الأمصار شرقا وغربا".

ونوّه الزّهري بمكانة تلمسان في صناعة المنسوجات الصّوفيّة بقوله: «وهي دار مملكة يُعمل فيها من الصّوف كلّ شيء بديع من المحرّرات والأبدان، وأحاريم الصّوف، والسّفاسير، والحنابل المكلكلة، وغير ذلك، وهذا من بديع ما خُصّ به أهلها من جميل صنعهم...، ومنها يُجلب لقيط الصّوف، والأسيلة لسروج الخيل إلى بلاد

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

المغرب، وبلاد الأندلس»[46]، فقد كان أبو زيد عبد الرّحمن بن النّجّار من كبار أرباب الحِرف بتلمسان يزاول حياكة الصّوف الرّفيع في درب شاكر، وكان أغلب هذا الدّرب له ولخدّامه، ويقصده كبار التّجّار من المشرق والمغرب للاقتناء منها، وكان يجني من بيعه لهذا الصّوف ألف دينار في اليوم الواحد[47].

وفي الصناعات الفخاريّة والخشبيّة ارتبطت حِرفة الفخّار بوجود عدد من الأفران المتخصّصة في صناعة الفخّار والخَزَف والقرميد بمدينة تلمسان وضواحيها، بخاصّة بالقرب من باب العقبة، ويشير جورج مارسي إلى تراجع هذه الحِرفة عمّا كانت عليه من تطوّر وازدهار منذ زمن طويل مقارنة بحِرف أخرى كالنسيج، ومن المؤكّد أنّ هذه الصّناعة قد تأثّرت بشكل كبير من خلال فئة الأندلسيّين الذّين أدخلوا معهم إلى بلاد المغرب الأوسط صناعاتًا جديدة كصناعة الزّلّيج بألوانه المختلفة.

كما أنّ عمارة المساجد، وبناء القصور، والبيوت في هذا العصر تركت أثارا كبرى في تطوير الصّناعات الخشبيّة، بما احتاجته من أسقُف ونوافذ وأبواب ومنابر ومقصورات، وأثاث وتُحَف زخرفّة، وقد برز كذلك في القرن 9هـ/15م النّحت على الخشب بالنّسبة إلى الأثاث والخزائن والصّناديق وأبواب المساجد، ومن بين الآثار الدّالة على هذه المرحلة الثّريّة مسجد تلمسان الذّي يعود إلى عهد يغمراسن بن زيّان ، هذا إلى جانب النّحت على الجبس والزّخرفة والفسيفساء الفنيّة التّي وُجدت على سطوح الحجرات المبَلّطة بالزّلّيج الملوّن، وهو ما ذهب إليه الحسن الوزّان في وصفه لمدينة هنين التّي لا يفصلها عن تلمسان إلاّ أربعة عشر ميلا بقوله: «ودُورهم في غاية الجمال والزّخرفة... أرضها مبلّطة بالزّليج الملوّن، وسفوح الحجرات مزيّنة بنفس الزّلّيج، والجدران مكسوّة كلّها بالفسيفساء الفنيّة>>[48].

أمّا الصّناعة المعدنيّة فهي من بين الصّناعات التي أخذت اهتماما خاصًا من قِبل السّلطة الزّيّانيّة لارتباطها بالحياة المدنيّة من جهة، والحياة العسكريّة من جهة أخرى، ويعود السّبب في تطوّرها إلى وفرة الموارد الأوّليّة في محيط الدّولة، وقربها من مناجم الذّهب والزّنك والحديد بشكل خاص، وشملت هذه الصّناعة الأسلحة

كالسّيوف والرّماح والدّرق والمجانيق والعرّادات والآلات المختلفة التّي تُستخدم في عمليات الحصار، كما استُخدمت في مواضع مختلفة كمصاريع للأبواب ومقابض ومطارق لها، إلى جانب بعض الأدوات البسيطة كالفؤوس والمحاريث والشّبابيك وغيرها[49]، وارتبطت كذلك بسكّ العملة، وصناعة النّقود من دنانير ودراهم بلغ عددها إثنان وثلاثون دينارًا ذهبيًّا، في غاية الجودة والإتقان بما تحمله من أشكال هندسيّة، وأقوال مأثورة لأسماء الملوك والسّلاطين، وآيات من القرآن الكريم، ومعلومات أخرى تفيد أنّها ضُربت بمدينة تلمسان، ممّا يؤكّد وجود دار للسّكة .[50]

**3.3- النشاط التجاري في تلمسان خلال العهد الزياني:** إنّ الحديث عن الحركة التّجاريّة في الدّولة الزّيّانيّة يرتبط أساسًا بوضعية الأسواق وتنظيماتها في هذا العهد، حيث تمثّل الأسواق مركزا للنّشاط التّجاري بصوره ومراحله المختلفة؛ فالأسواق هي مرآة عاكسة لحياة المدينة الاقتصاديّة، وعنوان نشاطها التّجاري والصّناعي؛ بل والاجتماعي أيضا، وقد ملكت تلمسان عددا من الأسواق الأسبوعيّة والموسميّة في البوادي والمدن كسوق سيدي بوجمعة الذّي يُعْقد كلّ يوم أربعاء بمدينة تلمسان، وسوق بني راشد الذّي يُعقد كلّ خميس، ويباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزّيت والعسل والمنسوجات والحبال والسّروج[51]، كما وُجد عدد آخر من الأسواق الحِرَفيّة مثل سوق الخرّازين، وسوق النّحّاسيّين، وسوق العطّاريين، وسوق الغزْل والنّسيج، وسوق الخضر والفواكه، وسوق اللّحوم.

وتشير إحدى الأبحاث إلى رواج بعض الأسواق المتخصّصة في بيع العبيد السّود في مدينة تلمسان لفئة التّجّار الأجانب، وبخاصّة الكاتالونيّين والبنادقة والميورقيين؛ إذ يشكّلون بضاعة مُربحة لتعدّد مجالات استخدامهم، ويمكن أن نميّز بين صنفين من التّجّار: تُجّار صغار يزاولون تجارتهم بمفردهم، وأغلب هؤلاء يكونون إمّا مستأجِرين للدّكاكين والمتاجر أو متجوّلين بين الشّوارع والأزقّة لا تزيد قيمة بضاعتهم عن مائتي دينار[52]، وتُجّار يتنقّلون بين المدن وأسواقها يشاركون التّجّار الأجانب في البيع والشّراء، ويوظّفون ما بين مائتي وخمسمائة دينار، وتجّار كبار يقومون برحلات نحو السّودان ودول أرووبا، ويحتكرون عددا من السّلع والبضائع.

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

وتنفرد الفئة الثّالثة عن غيرها بتنشيطها للتّجارة الخارجيّة؛ إذ أصبحت مدن المغرب الأوسط مقصدًا للقوافل والتجّار من مختلف الأقطار، بخاصّة القادمة من أوروبا، وغيرها من البلاد المسيحيّة، وقد لعبت الموانئ التّجارية دورًا أساسيًا في تفعيل المبادلات التّجاريّة عن طريق البحر المتوسط[53].

**4. الحياة الثّقافيّة في تلمسان خلال العهد الزّيّاني :**

**4.1- المؤسّسات الثّقافيّة والعلميّة في تلمسان :** ورثت تلمسان مجموعة من المدارس ذات المستوى العلمي الكبير شيَّد الزّيّانيون أغلبها خلال فترات متعاقبة، وقد أشار يحيى بن خلدون إلى هذه المدارس بقوله: "... والمعاهد الكريمة..."[54]، ووصفها الحسن الوزّان بأنّها: "... حسنة جيّدة البناء، مزدانة بالفسيفساء، وغيرها من الأعمال الفنيّة؛ شَيّد بعضها ملوك تلمسان، وبعضها ملوك فاس..."[55]، ومن أهمّ هذه المدارس:

- مدرسة ولَدَيْ الإمام: بُنيّت في عهد السّلطان أبي حمّو موسى الأوّل (665-706ھ/1266-1307م)، وسبب بنائها أنّ الأخوين ابنيْ الإمام دخلا تلمسان في عهد هذا السّلطان، فأكرمهما، وابتنى لهما هذه المدرسة التي سمّيت باسمهما، وكان ذلك سنة 710ھ/ 1310م[56].

- المدرسة التّاشفينيّة: بناها عبد الرّحمن أبو تاشفين (718ھ-737ھ)، بجانب الجامع الأعظم، وعيّن بها مدَّرسين من كبار العلماء من أمثال أبي موسى المشدالي، وكانت هذه المدرسة تُحفة فنيّة رائعة، وقد وصفها المقّري بأنّها من بدائع الدّنيا، وللأسف أنّ يد الاستعمار الفرنسي قد أتت عليها، فتمّ تهديمها دون مراعاة لِما فيها من جوانب فنيّة وحضاريّة، وذلك ليبني مكانها دار البلدية، ثمّ نُقلت بعض تُحفها وزخارفها إلى متحف تلمسان، وإلى متحف كلوني في باريس[57].

- مدرسة أبي الحسن المريني بالعبّاد: بناها أبو الحسن المريني في منطقة تسمّى العبّاد سنة 748ھ/1347م، وذلك أيّام استيلاء المرينيّين على المغرب الأوسط[58].

بالإضافة إلى مدرسة أبي عنان المريني التي أسّسها أبو عنان ابن أبي الحسن المريني سنة 754ھ/1353م، بجانب مسجد الولّي الصّالح أبي عبد الله الشّوذي

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

الإشبيلي الملقّب بالحلوي، والمدرسة اليعقوبيّة التي أسّسها السّلطان أبو حمّو موسى الثّاني (760-791هـ/1359-1389م)[59].

**4.2- أشهر البيوتات العلميّة والعلماء بتلمسان الزّيّانية:** اشتهرت مدينة تلمسان بسطوع ضوء عدد من العلماء والشّيوخ أهمّهم الشّيخ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التَّنسي (ت. 680هـ/1281م) الذّي ولد ونشأ بتنس، وجاب أقطار المغرب والمشرق طلبا للعلم والاستزادة، ودرس بمسقط رأسه بتنس ومليانة والشّلف، وفي تلمسان وبجاية[60]، وتونس والقاهرة والشّام، فأخذ عن فطاحل علماء هذه الأقطار مثال الأصبهاني والقرافي والسّيف الحنفي، ثمّ رجع إلى المغرب، واستقرّ في تلمسان للتّلقين والتّعليم إلى أن توفيّ سنة 680هـ/1281م[61]، وكان أبو إسحاق كلّما زار مدينة فاس سواء في مهمّة خاصّة أو في إطار المهمّات الدّبلوماسيّة التّي كان يقوم بها بين السّلطانين الزّيّاني والمريني يجتمع فقهاء المدينة، وعلى رأسهم أبو الحسن الصّغير، وقد ترك أبو إسحاق سمعة علميّة طيّبة في كلّ البلدان التي زارها، وكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء، وقال عنه السّلطان المريني أبو يعقوب: "ما صافحني أحد قطّ إلاّ أحسست بارتعاش يده لهيبة السّلطان، إلاّ الفقيه أبو إسحاق التّنسي، فعندما يصافحني تُدركني منه مَهابة، فكانت يدي ترتعش من هيبته"[62].

والشّيخ أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم الآبُلي (ت. 757هـ/1356م) شيخ العلوم العقليّة والنّقليّة في عصره، أصل أجداده من آبله بالأندلس، وُلد في تلمسان سنة 681هـ/ 1282م، ونشأ بها، حيث أخذ على أبي موسى بن الإمام وعلى جدّه وأبي الحسن التّنسي[63]، ولمّا استولى يوسف بن يعقوب المدني على تلمسان استخدمه، إلاّ أنّه قَبِل الوظيفة على مضَض، وسرعان ما تركها[64]، وأثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ مرّ بمصر والشّام والعراق، والتقى بعلمائها كابن دقيق العيد وابن الرّفعة والصّفي الهندي والتّبريزي وغيرهم[65].

ثمّ عاد إلى تلمسان، حيث عرض عليه السّلطان أبو حمّو موسى ضبْط جباية أمواله، غير أنّ الآبلي أعرض عن ذلك، وفرّ إلى فاس، حيث اختفى عند شيخ التّعاليم خلوف المغيلي اليهودي الذّي هيّأ له كلّ الظّروف لاستكمال دروسه، والتّبحّر في

مختلف العلوم، ومنها توجّه إلى مراكش سنة 710هـ/1310م، ونزل عند العلاّمة الإمام أبو العباس أحمد بن البنّاء الذّي أخذ عنه فنون التّعاليم. فلازم الآبلي علماء فاس ومراكش، وانضمّ إلى مجلسهم، وانتصب للتّدريس في عواصم بلاد المغرب وحواضره، فانهال عليه طلبة العلم من كلّ ناحية[66].

وأبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مرزوق الخطيب (ت. 781هـ/1379م) الذّي ولد في تلمسان سنة 711هـ/1311م[67]، وارتحل مع والده إلى المشرق سنة 718هـ/1318م، فأقام بالقاهرة، وأخذ على برهان الدّين الصّفاقصي، ثمّ عاد إلى بلاده سنة 733هـ/1333م؛ فوجد أبا الحسن المريني محاصرًا لتلمسان، فالتحق ببلاطه، ونال حظوة عنده، فصحبه في سائر تنقّلاته، وفي سنة 752هـ/1351م أجاز إلى الأندلس، فخطب بجامع الحمراء بغرناطة، وتناوب الخَطابة مع قاضي الجماعة أبي القاسم الشّريف، كما تناوب الخَطابة مع آخرين على منبر المسجد الجامع بغرناطة مدّة ثلاث سنوات، ودرّس بمدارسها، فخطب على منبر مساجد مالقة وفاس ومراكش وتونس والقاهرة[68].

وتشير المصادر إلى أنّه خطب على أكثر من ثمانيّة وأربعين منبرًا في المشرق والمغرب والأندلس[69]، وبعد عودته إلى تلمسان اتّصل بالسّلطان أبي عنان فارس، ومكث في بلاطه، وفي أيّام أبي سالم المريني عظُم نفوذ ابن مرزوق الخطيب، وأصبح زمام الأمر في الدّولة المرينيّة بيده، ولمّا قُتل أبو سالم سُجن ابن مرزوق بأمر من الوزير الثّائر عمر بن عبد الله سنة 762هـ/1361م، وبعد إطلاق سراحه توجّه إلى تونس، واستقرّ بها خطيبا بجامع الموحدين، ومُقرئً ببعض مدارسها[70]، ومن أهمّ مؤلّفاته كتاب "المُسْند الصّحيح الحسن في أخبار المؤلى أبي الحسن". وتوفيّ بالقاهرة سنة 781هـ/1379م[71].

وكانت تلمسان من المراكز الرئيسة في بلاد المغرب الإسلامي، كما كانت منارة علميّة امتدّ شعاعها إلى كلّ البقاع، ولذلك لم يكن غريبا أنْ كان أبناء المغرب الأقصى يقصدون تلمسان للتزوّد بالعلوم والمعارف، والتلقّي عن علمائها، والمشاركة في الحياة الفكريّة فيها، ومن أبناء مدينة فاس في المغرب الأقصى الذّين تلقّوا العلم في تلمسان، وتثقّفوا فيها عيسى بن أحمد الماساوي المتوفي عام 896هـ/1491م، أخذ الكثير عن شيوخ تلمسان في سائر

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

العلوم، وممّن قصد تلمسان كذلك من فاس عبد العزيز بن عبد الواحد اللّمطي الذّي كان آية في التّوسّع في العلوم، والتّفنّن فيها[72].

كما كانت الرّحلات المتتابعة لأبناء المغرب الأدنى من شتّى أرجائه وبقاعة تفدُ إلى تلمسان للتزوّد من علمائها في شتّى أنواع العلوم، وممّن قصد تلمسان من أهل المغرب الأدنى عبد الله بن قاسم المحمودي التّونسي في الرّبع الأخير من القرن 8هـ/14م اشتُهر بالفقه والحديث، ورحل إلى تلمسان للاستزادة من العلم عن مشاهير شيوخها، وأجاز العديد من طلاّب العلم بها، ثمّ عاد إلى تونس؛ فتولّى قضاء الأنكحة بها، ويجب الإشارة كذلك إلى أبي القاسم بن أحمد بن محمّد القيرواني الشّهير بالبزولي (740-842هـ/1339-1438م) الذي يعتبر من مشاهير فقهاء تونس ومُفتيها، والذي أخذ من العديد من شيوخ تلمسان[73].

أمّا عن بلاد الأندلس فقد ورد عن يحيى بن خلدون في كتابه "بُغية الرّوّاد في ذِكر الملوك من بني عبد الواد" أنّ عددا من الفقهاء الأندلسيّين الذّين توافدوا على تلمسان، وكانت لهم مكانة رفيعة في البلاط الزّيّاني منهم أبوبكر محمّد عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي(ت688هـ/1289م)[74] الذّي كان من أبرع الكتّاب خطًّا وأدبًا، ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه، وكتب عن ملوك غرناطة، وقد رحل إلى مرسية، ثمّ إلى تلمسان، ولمّا ظهر اهتمام السّلطان يغمراسن بن زيان بالعلوم قرّبه منه[75]، والفقيه عبدون بن الحباك (ت867هـ/1463م) الذّي تولّى القضاء بتلمسان، وكان خطيبًا بارعًا، وصاحبًا لأمير المسلمين يغمراسن بن زيّان[76].

**خاتمة:** من خلال دراستنا للمظاهر الحضاريّة في مدينة تلمسان خلال العصر الوسيط استخلصنا العديد من النّتائج التّي كانت في عمومها إجابة عن الإشكاليّة المطروحة في البداية، ومن أهمّها: تعدّ تلمسان حاضرة أزليّة؛ فقد شهدت عدّة حضارات، واستقطبت عدّة أممّ وشعوب- فعْلا يمكن اعتبار تلمسان حاضرة، لها مكانتها بين الحواضر الإسلاميّة في المغرب أو المشرق الإسلامي- لعبت تلمسان دورًا محوريًا في ازدهار الحضارة العربيّة الإسلاميّة في المغرب الإسلامي، وبلاد الأندلس- كان لسلاطين الدّولة الزّيّانيّة دور كبير في تفعيل الحياة الثّقافيّة من خلال المؤسّسات التّعليميّة، والاهتمام بالعلم والعلماء.

- اعتناء الدّولة الزّيّانيّة بالفلاحة والصّناعة والتّجارة جعلها تحتلّ مكانة إقتصاديّة مرموقة على مستوى بلاد المغرب وأوروبا- تطوّر الفنّ المعماري في المغرب الأوسط تجسّد في الرّقي الفنّي الذّي بنيّت به قصور ومساجد تلمسان خلال العهد الزّيّاني.

## الهوامش:

1- الحميري محمّد بن عبد المنعم- الرّوض المعطار في خبر الأقطار- تح إحسان عباس- ط2- مكتبة لبنان- 1984- ص 135.

2- Belkacem Daouadi- Les Relations Commerciales Entre Le Royaume Abdalwadide de Tlemcen et les Villes du Sud de L'Europe Occidentales à partir de 13e siècle jusqu'au milieu du 16e ,CNRS- BIBLID- T16- Université de Lyon- France-2009-p 121.

3- Atallah Dhina- Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er- Office des Publications Universitaires –Alger- s.d, p 31.

4) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- ج1- تح ج. س.كولان وليفي بروفانسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ص31/محمّد بن رمضان شاوش، باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2001، ص 46. ----5) ابن خلدون عبد الرّحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، مر سهيل زكار، ج7، دار الفكر، بيروت، 2000، ص17/يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، سحب الطّباعة الشّعبيّة للجيش، الجزائر، 2007، ص17.---6) ابن أبي زرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرّباط، 1972، ص50/عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّيّاني "دراسة سياسيّة، عمرانيّة، اجتماعيّة، ثقافيّة"، موفم للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2002، ج1 ص96 .----7) محمّد بن عمروالطّمار، تلمسان عبر العصور، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص29.---- 8) ابن خلدون، مصدر سابق، ص103.---- 9) الطّمار، مرجع سابق، ص33.---- 10) ابن خلدون، مصدر سابق، ص103.---- 11) محمّد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، ص56.----12) ابن عذاري أحمد المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. إحسان عباس، ط3، دار الثّقافة، بيروت، 1983، ج4 ص103.---- 13) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص97.

14) معركة حصن العقاب: موقع بين جيان وقلعة رباح في جنوب الأندلس، التقى فيه جيش الموحدين بقيادة الخليفة محمّد النّاصر، وجيش النّصارى بقيادة ألفونس الثّامن ليلة 15 صفر 609ه/16 جويلية 1212م، وانتهت بهزيمة المسلمين الّذين فقدوا زهاء العشرة آلاف. الحميري أبوعبد الله محمّد ابن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تح. ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988، ص137/ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص238.

15) ابن عذاري أحمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "قسم الموحدين"، تح. محمّد إبراهيم الكتّاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص263. ---- 16) محمّد شاوش، مرجع سابق، ص62. ---- 17) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص104.----18) مارمول كاربخال، إفريقيا، تر محمّد حجي وآخرون، دار المعارف الجديدة، الرّباط، 1989، ج2 ص299.---- 19) محمّد شاوش، مرجع سابق، ص161.----20) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص111.

21) يحي بن خلدون أبي زكريا، بُغية الرّوّاد في ذِكر الملوك من بني عبد الواد، مج1، مطبعة بيير فونطانا الشّرقيّة، الجزائر، 1903، ص209 .----22) محمّد الطّمار، مرجع سابق، ص324 .----23) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص125.----24) ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص68. ----25) يحي بن خلدون، مصدر سابق، ص207 .----26) ابن مرزوق محمّد التّلمساني، المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981، ص403.----

27) Charles Barbet, La perle du Maghreb (Tlemcen): visions et croquis d'Algérie, BNF Galica, Edition de l'Imprimerie Algerienne, Alger, s.d, p. p. 9-10.

28) يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص37.----29) Charles Barbet, Op.cit, p. p.77-78.----30) Atallah Dhina, Op.cit, p. 34.----

31) محمّد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، ص169-170 .----32) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص117.----33) مرجع نفسه، ص118 .------34) Charles Barbet, Op.cit, p. p. 71-72.-----35) سامي سلطان، "الجاليات الإيطاليّة في الدّولة الزّيّانيّة"، مجلة سيرتا، ع10، جامعة قسنطينة، أفريل 1988، ص91 .----36) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 138 .---- 37) مرجع نفسه، ص140.----38) ابن خلدون، مصدر سابق، ص129.----39) يحي بن خلدون أبي زكريا، بغية الرّوّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح بوزياني الدّراجي،ج2، دار الأمل، الجزائر،2007، ص245 .----40) ابن خلدون، مصدر سابق،

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

ص128.----41)الحسن الوزّان ابن محمّد الفاسي، تر محمّد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983،ج2 ص32.---- 42) الإدريسي أبي عبد الله محمّد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مج1،مكتبة الثّقافة الدّينيّة،القاهرة،2002،ص253 .
43) Atallah Dhina, Op.cit, p.152.-----44) Ibid, p. 153.

45) حساني مختار، تاريخ الدّولة الزّيّانيّة-الأحوال الاقتصاديّة والثقافيّة، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج2 ص39 .

46) الزّهري أبوعبد الله محمّد بن أبي بكر، كتاب الجعرافية، تحقيق محمّد حاج صادق، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، د.ت، ص113.----47) إبن مرزوق أبوعبد الله محمّد التّلمساني الخطيب، المناقب المرزوقيّة، تح سلوى الزّاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2008، ص148.----48) حساني مختار ، مرجع سابق، ص98.----49) محمّد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنّشر والتّوزيع، ط2، الكويت، 1987، ص286 .---- 50) حساني مختار، مرجع سابق، ص98.----51) أحمد مختار العبادي، من مظاهر الحياة الاقتصاديّة في المدينة الإسلاميّة، مجلة عالم الفكر، العدد 1، مج11، الكويت، 1980، ص157.----52) فيلالي عبد العزيز، مرجع سابق، ص215.----53) حساني مختار، مرجع سابق، ص41-42 .

54) يحيى بن خلدون، مج. 1، ص86.----55) الوزّان، مصدر سابق، ص19.----56) التّنسي محمّد بن عبد الله، تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان "مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيّان"، تح محمود آغا بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2011، ص139.-----57) محمّد الطمار، مرجع سابق، ص128.----58) ابن مرزوق، مصدر سابق، ص406.----59) الطمار، مرجع سابق، ص133.----60) ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء العلماء بتلمسان، المطبعة الثّعالبيّة، الجزائر، 1907، ص67.----61) أحمد بابا التّنبكسي، نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج على هامش ديباج إبن فرحون، تحقيق علي عمر، ط1، 2004، ج1 ص8-9.----62) عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص330 .----63) التّنبكتي، مصدر سابق، ص411.----64) يحيى بن خلدون، مج1، مصدر سابق، ص17.----65) ابن مريم- مصدر سابق، ص214.----66) الحفناوي، أبوالقاسم محمّد، تعريف الخلف برجال السّلف، ج1، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1906، ص94 .----67) ابن مرزوق، المصدر نفسه، ص19.

68) ابن خلدون: عبد الرّحمن،التّعريف بإبن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، صص49- 50.----69) المقرّي أحمد بن محمّد التّلمساني، نفح الطّيب من غصن أندلس الرّطيب، تح إحسان عباس، مج5، دار صادر، بيروت، 1968، ص415.----70) عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التّاريخ،ج3، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص442 .----71) ابن مرزوق، مصدر سابق، ص19. ----72) فهرس أحمد المنجور، تح. محمّد حجي، دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر، الرّباط، 1976، ص18.-----73) Atallah Dhina, Op. cit, p. 187 -----74- عبد العزيز فيلالي- مرجع سابق- ص456.----75- التّنسي- مصدر سابق- ص174.----76- يحيى بن خلدون- مصدر سابق- ج1 ص125.